

## حوار مع المفكر الفرنسي ألبير جاكار التهديد النووي جريمة كبرى حتى لو كان من باب الردع الشفهي

في هذا الحوار الذي أجراه مدير عام وناشر «مدارات غربية» د. محمد نعمة مع العلامة والمفكر الفرنسي ألبير جاكار محاولة إلى استظهار نسق معرفية تعيد النصاب إلى نظام القيم بعد الانهيارات المدوية التي عصفت به أخيراً. يعيدنا جاكار إلى أطروحة التواصل، واللقاء، والتكامل مع الآخر كبديل حضاري عن الصدام والحروب. وهو يرى أن الخيار النووي حتى لو كان من قبيل الردع المعنوي فإنه يعادل الجريمة بحق الإنسانية.

يقول محدثنا: عندما يهدد رجل سياسي من الدول المنتمية إلى النادي النووي باستخدام السلاح النووي (مشيراً إلى شيراك) فإنما يرتكب جريمة بحق الإنسانية.  
في ما يلي نص الحوار:

«مدارات غربية»

مدارات غربية: على صعيد الأمن الدولي نشهد اتهاماً من الغربيين لإيران بسبب طموحاتها النووية، وتنافساً في الوقت نفسه بين الولايات المتحدة وفرنسا على تقديم المساعدة الفنية والعلمية الضرورية للهند لإدخالها إلى نادي الدول النووية. وعلى صعيد الحوار بين الشعوب والأمم، نلاحظ سيادة الحسابات الاقتصادية والإستراتيجية لدى الحكومات الغربية. نبدو الآن كما لو أننا في حالة ضياع وفقدان للثقة بمستقبل الإنسان والأرض. إلى متى سنسير في مسلك كهذا؟ ولماذا يتفوق منطق الشك والتردد على منطق الثقة والتعاون؟

ألبير جاكار: أهنتك على هذا السؤال لأنه يطرح المشكلة بأفضل ما يمكن. ولأنه يشير ومنذ البداية وبشكل بديهي، إلى فقدان التماسك المنطقي لأداء بلد مثل فرنسا. كيف يمكن لبلد كهذا، قدم الكثير لمستقبل البشرية ألا يعلن وبصوت عال عن تراجع النهائ عن القوة النووية، والتي لن تفيده بأي شيء لا من قريب ولا من بعيد؟ ماذا سنستفيد إذا هاجمنا دولاً كإيطاليا أو اللوكسمبورغ أو إيران أو حتى لبنان (ضاحكاً) من أجل تدميرها بالسلاح النووي؟

إن استعمال هذا السلاح كشكل من أشكال الردع من جانبنا أو من جانب

أجرى الحوار في باريس:  
د. محمد نعمة

بريطانيا أو أميركا يعرض البشرية للخطر، وهو فعل سخيف. إن فرنسا وبواسطة السلاح النووي سوف تصيب الجميع بالدمار، ليس فقط دولة معينة بل العالم بأكمله. يجب أن نعرف أننا لسنا أكيدة من ربحنا للحروب النووية. لكن جديين. إنها لعبة لا يحق لنا استعمالها.

وإنني هنا أستذكر ما قاله مونتسكيو، طبعاً لم تكن توجد آنذاك القنبلة الذرية (ضاحكاً): «إذا حصلت على شيء يفيدني و يضر بعائلتي أترجع عنه، وإذا أفاد عائلتي وألحق الأذى بوطني أترجع عنه، وإذا كان نافعاً لوطني وأساء لأوروبا كذلك الأمر. وإذا أفاد أوروبا وألحق الضرر بالعالم أترجع عنه». بمعنى أنه من الممكن أن أحب عائلتي و وطني و أحب نفسي، ولكن لا يحق لي للدفاع عن نفسي أن أعرض الجنس البشري للهلاك.

إن استخدام القنبلة الذرية يعطي الانطباع بالفوز ولكن هذا غير صحيح. ولا أعتقد أن مهاجمة إيران جديّة. و بالتالي فإن استخدام السلاح النووي هو جريمة ضد الإنسانية. و عندما يهدد رجل سياسي من الدول المنتمية إلى النادي النووي بذلك فهذا بحد ذاته جريمة بحق الإنسانية. نعم حتى الردع الشفهي هو جريمة أيضاً ضد الإنسانية.

### سيرة ذاتية

ولد ألبير جاكار في مدينة ليون الفرنسية من عائلة كاثوليكية محافظة إلى حد ما. بعد إتمامه دراساته في مدرسة البوليتكنيك و المعهد الإحصائي، عمل في وزارة الصحة ثم توجه لدراسة التكوين الجيني لسكان الولايات المتحدة (ستانفورد). في العام 1968 سيكون المسؤول عن القسم الجيني في المعهد الوطني للدراسات الديمغرافية. والمعلوم أنه كان خبيراً جينياً في منظمة الصحة العالمية بين أعوام 1975 و 1985، كما درس في جامعات جنيف، و باريس السادسة (كلية العلوم - ماري كوري).

ألبير جاكار عالم رفيع الشأن، وضع العديد من المؤلفات العلمية المبسطة (في متناول الجميع) و المحاولات التي كان يسعى في خلالها لنشر فكر إنساني عصري من أجل تطوير الوعي الجماعي المسؤول تجاه قضايا الإنسان و البيئة.

يشارك ألبير جاكار في كل النضالات التي يعتبرها عادلة مثل الحق بالمسكن (و هو رئيس جمعية تحمل هذا الاسم)، و حقوق المهاجرين و من منهم «بدون إقامات شرعية»، و العدالة الاجتماعية و النضال ضد العنصرية. وهو يعتقد أن الرهان الأكبر للقرن الحادي والعشرين و المحرك الحقيقي للتغيير هما التربية الفردية و الجماعية، ثم الحوار بين الشعوب قبل هموم المال. و هكذا أصبح عراباً لمدرسة «نامور» العليا في بلجيكا و «مرشدها الروحي».

في كتابه «إنني اتهم الاقتصاد المنتصر» فضح جاكار مساوئ الرأسمالية، و أثار مشكلات المجتمع الحديث: كالتلوث، و التبذير، و عدم وجود مساكن كافية و صحية، و كذلك ضرورة تقاسم الموارد بين الشعوب.

مدارات غربية : ولكن لماذا هذا الهوس في سيطرة المنطق النفعي والاقتصادي

على العلاقات الدولية؟

أ. جاكار: المنطق الاقتصادي ليس ثابتاً بسبب التغييرات التي قد تحصل. إن الاقتصاد ليس علماً، و الدليل على هذا ان الخبراء الإقتصاديين لم يتوقعوا انفجار «وول ستريت»، أو الجمود والتضخم المالي، وهم يجهلون كيفية خروجنا من الجمود والتضخم.

إن مفهوم القيمة (الاقتصادية) أو ما يسمى المردودية لا معنى لها. فنحن نقوم بحسابات ضخمة لمعرفة أي الخيارات هي الأفضل و الأرخص سعراً : أكان ذلك عبر استعمال القطارات أم عبر ناقلات الشحن. إنهم يعتمدون على سعر النفط لكي يحتسبوا السعر الأولي للمادة المنتجة. في خلال ثلاثين سنة مضت تضاعف ثمن برميل البترول الواحد عشرين مرة، فبعدها كان في الستينات حوالي ثلاثة دولارات أصبح الآن حوالي 60 دولاراً و قد يتجاوز ذلك إلى 600 دولار في الثلاثين سنة المقبلة. فالاقتصاديون عاجزون عن إيجاد الحل، أو توقع الأمور بشكل أكيد. والمنطق الاقتصادي ليس أكيداً و جدياً. إنني أرى بأنه ليس من المهم وجود من هم أكثر ثراء من سواهم. فالأجدي في الواقع ليس البحث عن المردودية بل الاتفاق على ما يمكن أن يكون الأفضل من أجل حياتنا جميعاً. هل المطلوب أن أكون أغنى منك أم أن نعمل سوياً من أجل عالم أكثر سعادة؟ هذه هي المسألة.

مدارات غربية: ألا تعتقدون أن الغرب في تعاطيه مع الوجود الإنساني يعتبر

نفسه مركز العالم وليس مجرد جزء أو قطب فحسب. كيف يستطيع الآخرون بإزاء ثقافة كهذه أن يجدوا مكانتهم ويحصنوا كرامتهم، لاسيما عندما يكون الأقوى هنا مصاباً بالأنوية الشديدة التمركز؟

أ. جاكار: إن الأقوى يفعل ما يشاء، ولكن ليس بالأنانية تسوّى الأمور بين الشعوب. هذا يعيدنا إلى ما رددناه نقلاً عن مونتسكيو لتونا. إن الغرب الذي أحبه هو غرب مونتسكيو هذا. أتمنى من بلدي أن لا يساعد تلك الدولة الأكثر أنانية و هي الولايات المتحدة. إن فرنسا ليست أنانية، و لو كان صحيحاً أنها كانت سابقاً كذلك. يجب على فرنسا أن لا تسير وراء أميركا في طريق الربح والجبروت، وعليها أن تبرهن عن هدف آخر للغرب يختلف عن الولايات المتحدة. إنه هدف التلاقي و الاحترام بين الشعوب. يجب ألا تتحمل بقية دول الغرب

أتمنى من بلدي أن لا يساعد تلك الدولة الأكثر أنانية و هي الولايات المتحدة. إن فرنسا ليست أنانية، و لو كان صحيحاً أنها كانت سابقاً كذلك. يجب على فرنسا أن لا تسير وراء أميركا في طريق الربح و الجبروت.

تبعات مصالح أميركا و تصرفاتها.

مدارات غربية: هنالك الموارد البشرية والطبيعية مع هاجس الربح، زائد  
تقنوية هدامة مضافة إلى تعصب قومي و ديني مآله الإنحدار إلى صدام  
الحضارات. ماذا تقولون حيال هذه المعادلة؟

أ.جاكار: مع الأسف هذا ما نلاحظه، و لكنني لا أوافق عليه. فالحضارات لا  
ينبغي أن تنحدر نحو الصدام بل عليها أن تتفاهم وتتعاون، و أن تصغي  
الواحدة للأخرى، و أن يتحول الصدام إلى تعايش. في التاريخ أمثلة على ذلك،  
فإسبانيا والأندلس كانت تحوي عرباً و يهوداً و مسيحيين و سواهم. و نبغ  
فلاسفة مثل ابن رشد و ابن سينا. و قبل اليونان و من ثم العرب لم تكن أوروبا  
تعرف الرياضيات. و بفضل العرب القادمين من بغداد وصل هذا العلم إلينا.  
و في كل مرة كانت الحضارات قادرة على التفاهم كان ذلك رائعاً. لقد أنجزوا  
أعمالاً رائعة فعلاً.

مدارات غربية: كيف تجد نفسك اليوم بالنسبة لفكرة جان - بول سارتر بأن  
«جهنم هو الآخر»؟ و كيف يمكن صياغتها من جديد و خصوصاً على ضوء واقعنا  
الميوؤوس منه؟

أ. جاكار: هذا التعبير ليس لسارتر، بل لإحدى الشخصيات في مسرحيته  
«الحجرة الموصدة». و قد أنزل أشخاص مسرحيته إلى جهنم إدراكاً منه أن  
الجحيم هو بالتحديد أن يكون الإنسان محجوزاً مع الآخرين. إذ أن فلسفة  
سارتر هي أن أهمية الإنسان تتأتى من ذاته هو، و بالتالي كي أخلق أنا فلست  
بحاجة للآخرين. أما بالنسبة إليّ فإن الجحيم هو أن لا أكون مع الآخرين أي  
تماماً العكس. و قد قدم سارتر هذه الجملة على لسان إحدى شخصيات  
مسرحيته. و لكن يجب أن لا تعرض و كأنها جملة فلسفية له وجودية أو  
إنسانية. أما بالنسبة إليّ فإن الإنسان يبني من خلال اللقاء مع الآخرين. إن الذي  
يوجد هو التفاعلات الإنسانية. هذا هو موضوع كتابي القادم.

إن الكائن يُبنى بأيدي الآخر. نحن نتيجة تفاعلنا مع الآخرين. فلنأخذ مثلاً  
على ذلك:

إن الطاولة هي كتلة و هذا صحيح، و لكن لو وُجدت وحدها في الكون فإنها  
تفقد هذه الصفة، لان الكتلة بالتحديد هي نتيجة جاذبية الأرض الدورانية حول

قبل اليونان و من ثم  
العرب لم تكن أوروبا تعرف  
الرياضيات. و بفضل  
العرب القادمين من بغداد  
وصل هذا العلم إلينا. و في  
كل مرة كانت الحضارات  
قادرة على التفاهم كان  
ذلك رائعاً.  
لقد أنجزوا أعمالاً رائعة  
فعلاً.

نقطة ارتكازها. وهكذا فإن كتلة أي شيء إنما تتحدد بوجود الآخر. فلنتصور كائنات فضائية حطت على الأرض، و التقت بكائن بشري، و اقتادته إلى المختبر، وقامت بتحليله، لقد أصبحت تعرف كل شيء عنه، و عن تحولات طبيعته البيولوجية، ولكنها مع ذلك لم تدرك حقيقة ما هو أساسي فيه أي بوصف كونه كائناً بشرياً. لقد عجزت عن فهم الأساسي و هو تلك الخاصية الرائعة، و التي تتمثل بالقدرة على اللقاء مع الآخر.

إن الكائن و مجرد أن ينعزل لا يعود له وجود. ألبير جاكار لا تعريف له خارج علاقته و تفاعله مع الآخر. من هنا ابحت عن أن أكون كونياً. إن المهم ليس الذات المنعزلة و المنغلقة على ذاتها، وإنما اللقاء مع الآخر و التفاعل معه، ذلك لأنها لا تتحدد إلا بفضل ذلك. إن الأهم هو التفاعلات.

مدارات غربية: بحسب رأيكم ما هي شروط «بنغ - بونغ»؟ الاحترام و التقاسم بين البشر أنفسهم، و بين البشر و«الأرض الصغيرة»، لو نحن استعرنا منك هذه العبارة الأخيرة؟

أ. جاكار: برأيي يجب أن يتوفر الأمران، أولاً اللقاء مع الآخرين، و ثانياً اللقاء مع الأرض. إن اكتشاف أن الأرض هي صغيرة هو اكتشاف حديث جداً، بل هي ذات محدودية متناهية من حيث الحجم. إننا اكتشفنا منذ مدة قصيرة أي منذ مائة عام تقريباً بأننا لسنا إلا كوكباً صغيراً. و لذا نحن مسؤولون عنه، و يمكن أن نصيبه بالأذى، و يجب علينا أن لا نقوم بما يهدد بتدميره. من يعمل حالياً على هدمه؟ من هو المسؤول أهو الرئيس بوش أم بن لادن؟ من منهما يهدد الأرض؟ كل منهما يتهم الآخر. إن الاثنين برأيي، لا حق لهما بتهديد الأرض. نحن مدعوون لان نكون معاً. نحن محكومون بالبقاء معاً.

مدارات غربية: سيد جاكار. أنت الذي لا تزال تمدح الاختلاف و تدافع عنا بكوننا جميعاً مختلفين و متشابهين في نفس الوقت، و أنت العالم الكبير الذي فضلت التراجع و الانسحاب أمام علم بارد و مؤلّل (من آلية أو تقنية) للإنسان و مُشَيء لروحه. و هذا لصالح الالتزام بالإنسان بحد ذاته. إنك تحذرنا من «خطورة العلم»، ما هي «خريطة الطريق» التي تقترحها للخروج من القلق الوجودي الذي يفخخ العالم، و لكي يتم اللقاء حول طوباوية حيوية تبدو مع الأسف غير موجودة؟

أ. جاكار: بالتأكيد. ما هي الطوباوية التي يمكننا التحلي بها؟ إن الطوباوية

إن الكائن و مجرد أن  
ينعزل لا يعود له وجود.  
ألبير جاكار لا تعريف له  
خارج علاقته و تفاعله مع  
الآخر. من هنا ابحت عن  
أن أكون كونياً.

بالنسبة إلي ليست حالة خالدة. ولكنها ضرورية. وهي أن ألتقي بالآخر بفرح و متعة. إنني أتحدد بالنسبة للبشر الذين التقيهم وهؤلاء بدورهم يتحددون بالنسبة إلي. إن الطوباوية هي تقاسم فهم العالم الذي لا نهاية له. تقاسم ما هو فيما بيننا من مشترك، وما هو بيننا قابل للبناء. البناء هو بأن تكون «صافي الذهن» بالنسبة للعالم المحيط بك. وهو أيضاً الاقتناع بقبول وإدراك تطور العمليات العقلية من حولي.

و هذا يختلف بحسب الأشخاص الذين ألتقي بهم و بحسب شخصي أيضاً. فبالنسبة إلي البناء هو محاولة أن أكون على وعي بحقيقة العالم. و سنحاول أنا وأنت أن نتقاسم فهمنا للعالم. فيجب علينا سوياً أن نعي و ندرك حقيقة هذا العالم. و أن نبني هذا الفهم و الذي هو لانهائي و حيث هناك دائماً أسئلة، و لم لا فإن ذلك يكون لخيرنا.

وإذن لا شيء يكفي بذاته. لنتقاسم القلق مع الآخرين، و من وقت لآخر لنتقاسم الهناء.

البناء هو محاولة أن أكون  
على وعي بحقيقة العالم.  
و سنحاول أنا وأنت أن  
نتقاسم فهمنا للعالم.  
فيجب علينا سوياً أن نعي  
و ندرك حقيقة هذا  
العالم.